فواتح السور بين علماءِ الإعجازِ والتفسيرِ- دراسة تحليلية

أ. فـــردوس البشـــير جمعة مسعود*
قسم اللغة العربية ، كلية اللغات ، جامعـــة الزيتونة، ليبيا .
Fardousalbashir@gmail.com
تاريخ الاستلام2 / 10/ 2025م تاريخ القبول7 / 2 / 2026م

The Opening Letters of the Qur'anic Surahs in the Views of Scholars of I'jaz and Tafsir: An Analytical Study"

University of Zaytuna
Faculty of Languages
Department of Arabic Language
NAME:FARDOUS ALBASHEER JUMAH
Fardousalbashir@gmail.com

Abstract
This research, entitled "The Opening Letters of the Qur'anic Chapters between Miraculousness and Interpretation: An Analytical Study," aims to shed light on the phenomenon of Fawātih al-Suwar (the opening letters) in the Holy Qur'an, which represent one of the most remarkable aspects of Qur'anic linguistic and rhetorical inimitability.
The study explores the definition, types, and occurrences of these openings, reviewing the main interpretative approaches — from the tafwīdī view that leaves their meaning to God, through the symbolic and allegorical interpretations, the rhetorical perspective, and finally the comprehensive view that combines all aspects.
It further analyzes the miraculous features of these openings from linguistic, phonetic, and rhetorical dimensions, demonstrating how these letters challenge human eloquence using the same Arabic language elements. The study concludes that reconciling the notions of miraculousness and interpretation provides the most balanced understanding: the opening letters are Arabic in form yet divine in arrangement, carrying profound rhetorical and spiritual meanings that affirm the Qur'an's divine origin.
The study recommends enhancing modern analytical approaches that integrate linguistic, phonetic, and rhetorical studies of the Qur'an, and incorporating the topic of Fawātih al-Suwar into university courses on Qur'anic exegesis and inimitability.
Keywords:

حقوق النشر © للمؤلف/للمؤلفين 2025. ينشر هذا البحث بموجب رخصة المشاع الإبداعي Creative Commons (CC BY-NC 4.0)

Qur'anic Inimitability – Opening Letters – Exegesis – Rhetoric – Disjointed Letters – Eloquence.

الملخّـــــــص :

يهدف هذا البحث الموسوم بـ " فواتح السور بين علماء الإعجاز والتفسير: دراسة تحليلية" إلى تسليط الضوء على ظاهرة فواتح السور في القرآن الكريم، باعتبارها من أبرز مظاهر الإعجاز البياني واللغوي في الكتاب العزيز. تناول البحث مفهوم فواتح السور وأنواعها وعددها، واستعرض الاتجاهات التفسيرية الرئيسة في فهمها، بدءًا من الاتجاه التفويضي الذي يرى علمها عند الله، مرورًا بالاتجاه الرمزي والتأويلي، ثم البلاغي، وصولًا إلى الاتجاه الإعجازي الشامل.

كما تناول البحث وجوه الإعجاز في هذه الفواتح من الناحية اللغوية والصوتية والبيانية، مبرزًا كيف جاءت هذه الحروف لتكون تحديًا للعرب في ميدان لغتهم التي برعوا فيها. وخلصت الدراسة إلى أن الجمع بين الإعجاز والتفسير هو الرؤية الأرجح والأكمل، إذ تُعدّ فواتح السور حروفًا عربية في ظاهرها، وآياتٍ معجزة في نظمها وسياقها، تحمل دلالاتٍ بلاغية وروحية عميقة تؤكد أن القرآن كلام الله المعجز.

توصـــي الدراسة بتكثيف الجهود البحثية الحديثة التي تربط بين البلاغة القرآنية والتحليل الصوتي واللغوي، وبإدراج موضوع فواتح السور ضمن مقررات التفسير والإعجاز في الجامعات.

الكلمـات المفتاحيـة: الإعجـاز القرآنـي – فـواتح السـور – التفسـير – البلاغـة – الحروف المقطعة – البيان.

المقدمـــة:

يُعدّ القرآن الكريم كتاب الله الخالد، الذي تفرّد بإعجازه البياني والمعنوي والتشريعي، وجاء متحدّيًا العرب والعجم أن يأتوا بسورة من مثله. وقد اشتمل هذا الكتاب العظيم على ظواهر لغوية وبيانية أثارت دهشة العلماء والمفسّرين، ومن أبرزها ما يُعرف بـ فواتح السور، وهي الحروف التي وردت في أوائل تسعٍ وعشرين سورة من سور القرآن الكريم، مثل قوله تعالى:] ﴿الم﴾ [البقرة: 1]، ﴿كهيعص﴾ [مريم: 1]، ﴿طه﴾ [طه: 1]، ﴿يس﴾ [يس: 1]، ﴿ص﴾ [ص: 1 ، وقد اختلف العلماء في تفسير هذه الحروف المقطعة اختلافًا بيّنًا، فمنهم من عدّها وجهًا من وجوه الإعجاز القرآني، ومنهم من تناولها من الجانب التفسيري اللغوي والبياني، بينما آثر آخرون التوقّف عندها وعدّ علمها عند الله تعالى. ومن هنا جاءت فكرة هذه الدراسة الموسومة بـ «فواتح السور بين الإعجاز والتفسير: دراسة وصفيه تحليلية»، لاستعراض أقوال

العلماء في هذه الظاهرة القرآنية وتحليلها تحليلاً علميًا متوازنًا يجمع بين الإيمان بالإعجاز والسعي لفهم البيان.

مشـــكلة الدراسة:

تتمثل مشكلة هذه الدراسة في السؤال الرئيس الآتي:

ما طبيعة فواتح السور في القرآن الكريم؟ وهل يمكن عدّها وجهًا من وجوه الإعجاز القرآني، أم أنّها خاضعة للتفسير اللغوي والبياني؟

ما المقصود بفواتح السور؟ وما أنواعها؟

ما أبرز الاتجاهات التفسيرية في فهمها؟

كيف يمكن الجمع بين الإعجاز والتفسير في دراسة هذه الظاهرة القرآنية؟

أهداف الدراسة:

1- بيان مفهوم فواتح السور في القرآن الكريم

2- عرض الاتجاهات التفسيرية المختلفة حولها عبر العصور

3- تحليل الجانب الإعجازي في فواتح السور من الناحية البلاغية والبيانية

4- الوصول إلى رؤية علمية متوازنة تجمع بين الإعجاز والتفسير

أهمية الدراسة:

تنبع أهمية هذه الدراسة من كونها تتناول ظاهرة قرآنية فريدة من نوعها، تمثّل تحدّيًا للعقل البشري وميدانًا للتدبر والتفكر. كما أنّه يسعى إلى الجمع بين منهج الإعجاز البياني ومنهج التفسير اللغوي في تحليل النص القرآني، مما يُسهم في إثراء الدراسات القرآنية وإبراز جوانب جديدة من بلاغة القرآن وإعجازه

منهج الدراسة:

تعتمد هذه الدراسة على المنهج التحليلي الوصفي المقارن، وذلك من خلال:

تتبّع لبعض آيات الفواتح في القرآن الكريم.

عرض بعض لآراء كبار المفسّرين منهم (الطبري، الرازي، القرطبي، ابن كثير، الزمخشري، السعدي)

ختاماً خلاصة بعض النتائج التي توضّح العلاقة بين الإعجاز والتفسير في هذه الظاهر.

الدراسات السابقة:

1- بحث منشور في مجلة الدراسات القرآنية بجامعة الأزهر تناول الجوانب الصوتية والإيقاعية للحروف المقطعة (2020م). دراسة مقارنة حديثة ركزت على البعد الإعجازي في هذه الحروف في ضوء علم اللغة الحديث

2-سالة ماجستير بجامعة أم القرى بعنوان(الحروف المقطعة في أوائل السور: دراسة تحليلية لغوية(2015م). ويتضح من مراجعة هذه الدراسات أن الباحثين ركزوا غالبا على جانب واحد (تفسيري أو لغوي أو عقدي), بينما أسعى في هذه الدراسة إلى ربط بين التفسير والبيان والاعجاز في إطار تحليلي

المبحث الأول ــ تعريف فواتح السور وموقعها في القرآن الكريم:

تُطلق فواتح السور على الحروف أو الكلمات التي تبدأ بها بعض سور القرآن الكريم، مثل: (الم) التي وردت في سورة البقرة, و ال عمران, و العنكبوت, و الروم ولقمان و السجدة، و(كهيعص) من سورة مريم، و (طه) من سورة طه، و (يس) في سورة يس، و (ص) في سورة ص، (ق) في سورة ق، و(ن) في سورة القلم، و(الر)التي ورد ذكرها في سور الاتية: يونس و هود ويوسف, وإبراهيم , و الحجر .و(حم) من سورة غافر إلى الأحقاف (سبع سور متتالية) وغيرها.

وقد وردت هذه الفواتح في تسعٍ وعشرين سورة، تبدأ كلها بالحروف المقطعة باستثناء سورة واحدة تُفتتح بكلمة كاملة هي (طه) التي تُعد من هذا الباب أيضا. أشار عدد من الصحابة كأبي بكر الصديق وعمر بن الخطاب (رضي الله عنهما) بأن القران سر من أسرا الله تعالى, وقالوا:" لكل كتاب سر, وسر القران فواتح السور"[1] ، كما أشار الإمام الطبري في تفسيره: "افتتح الله جلّ ثناؤه هذه السور بالحروف المقطعة تنبيهًا للعرب على أن هذا القرآن الذي أعجزهم إنما نُظّم من هذه الحروف التي يعرفونها ويؤلفون منها كلامهم" [2]

وهــذا يعني أن فواتح السور جاءت لتشير إلى أن مادة القرآن هي نفس الحروف التي ينطق بها العرب، ومع ذلك عجزوا أن يأتوا بمثله، وفي ذلك تحدٍ بياني واضح. وأوضح الرازي رأيه في كتابه(التفسير الكبير) في هذه الحروف فذهب إلى أنها من أسرار الله، فقال:" اعلم أن لهذه الفواتح سرًّا عجيبًا لا يبلغه فكر البشر، وقد اختص الله بعلمه، فالأولى التفويض إليه مع الإيمان بأنها ليست عبثًا".[3] وهنا يظهر الاتجاه التوقيفي التفويضي، الذي يرى أن الله - تعالى - وحده يعلم مراد هذه الحروف

المبحث الثانـــي ـ الاتجاهات التفسيرية في فهم فواتــح السور

اختلـف العلمـاء فـي تفسير هـذه الفـواتح فانقسمت إلـى أربـع اتجاهـات رئيسـية :

1- الاتجاه التفويضـــي: وهو مذهب جمهور السلف الذين قالوا: "هي من المتشـابه الذي استأثر الله بعلمه" ، قال القرطبي في كتابه (التفســير) : "الصـواب عنـدي مـا عليه السلف الصـالح، أن هـذه الحـروف لا يُـدرى معناهـا علـى التعيـين، وأنهـا ممـا استأثر الله بعلمه"[4]. وهذا الاتجاه يقوم على التسليم المطلـق بعلـم الله، دون محاولـة تأويل أو تفسير.

2-**الاتجـاه الرمـزي التأويلـــي:** يـرى أصـحابه أن هـذه الحـروف رمـوز بـين الله ورسوله، أو رموز لأسماء الله الحسنى ، قال ابن كثير"ومن الناس من قال إنهـا تـدل على أسماء الله الحسنى، فالألف تدل على الله، واللام على لطيف، والميم على مجيد، والله أعلم"[5]، وهذا الاتجاه يميل إلى التأويـل اللغـوي الرمـزي، محـاولًا الـربط بـين الحروف وصفات الألوهية

3- **الاتجـاه البيانـــي البلاغـــي :** يـرى أن الفـواتح جـاءت لفـتح السـمع وإثـارة الانتباه عنـد السـامعين، قبـل نـزول الآيـات. قـال الزمخشـري فـي(الكشـاف): "إنمـا ذكرت هذه الحروف في أوائـل السـور ليُسـتدلّ بهـا علـى أن القـرآن مؤلـف مـن هـذه الحروف التـي هـي مـادة كـلام العـرب، ومـع ذلـك فقـد أعجـزهم أن يـأتوا بمثلـه"[6] والقريب من هذا القول ما نقله القرطبي عن قتادة في قوله : (الم) قال: اسم من أسماء القران[7]. وقيل إن الفواتح من أسماء القران كالفرقان, وقيل هي أصوات التنبيـه كمـا في النداء, عمد إليها القران ليكون في غرابتها ما يثير الالتفات, وقد ترك مأ لفوا مـن ألفاظ التنبيه إلى مالم يألفوا, لأنـه لا يشـبه كـلام البشـر, ولكـي يكـون أبلـغ فـي قـرع الأسماع , غير أنهم اختلفوا فيمن يكون المقصود بهذا التنبيه, فأبو حيـان مـثلا يـرى أنها تبيه للمشركين إلزاما لهم بالحجة, والفخر الرازي يتجه بها إلى تبيه النبي (صلى الله عليه وسلم) لا المشركين. وبهذا المعنى، تكون الفواتح جـزءًا مـن إعجـاز الـنظم القرآني، ودليلًا على عظمة البيان الإلهي بشكلها المجمل.

4-الاتجاه الإعجازي الشـــامل : وهو اتجاه يجمع بـين المعـاني السـابقة، ويـرى أن هذه الحروف تحمل سرّ الإعجاز الذي لا يحيط به عقل، ولكنها أيضًا ذات دلالة لغويـة وبيانية، قال الرازي: في (التفسير الكبير) "إن هذه الحروف المقطعة دالـة علـى معـانٍ

عظيمة، وهي في نفسها آيات من آيات الله، لا سبيل إلى الإحاطة بها، ولكنها تُذكّر الخلق بعجزهم"[8].

ويرى هذا الاتجاه أن الجمع بين التفويض والعقل هو الأنسب في فهم الفواتح، فلا إفراط في التأويل ولا تفريط في التسليم.

المبحث الثالث ـ فواتـــح الســـور بين الإعجاز والبيان القرآني

يُبرز العلماء - أيضًا - في فواتح السور وجهًا من الإعجاز البياني؛ فهي تجمع بين الاختصار والإيحاء، والغموض والوضوح، والإشارة والتحدي. قال الرازي في تفسيره :اعلم أن في هذه الفواتح جمعًا عجيبًا بين الإيجاز والإعجاز، فإنها مع قصرها تحمل من المعاني ما لا يبلغه كلام طويل، فحرفان أو ثلاثة حروف تكون آية قائمة بذاتها"[9].

ويُلاحظ أن ترتيب هذه الحروف في القرآن ليس اعتباطيًا، بل يخضع لنظمٍ بديعٍ يُعجز البلغاء. فمثلًا، السور المفتتحة بـ (ألـم) تشترك في موضوعات تتعلق بالوحي والكتاب والرسالة، مثل: البقرة، آل عمران، العنكبوت، الروم، لقمان، السجدة. وهذا الاتساق الموضوعي يبرهن على أن الحروف جزء من النظم المعجز، لا يمكن أن يكون مصادفة.

الجمع بين الإعجاز والتفسير في فواتح السور

يذهب فريـــق من العلماء المعاصرين إلى أن فواتح السور تحقق غاية مزدوجة: فهي من جهة إعجاز لغوي وبياني يعجز البشر عن الإتيان بمثله. وهي من جهة أخرى أنه من باب التفسير والتدبر، تذكّر القارئ بأن هذا القرآن مركّب من حروفٍ يعرفها الناس، ولكن الله وحده نظمه بهذا الإعجاز. يقول الشيخ السعدي في تفسيره: "افتتح الله بعض السور بهذه الحروف المقطعة تنبيهًا إلى أن هذا القرآن العظيم مؤلف من هذه الحروف التي تعرفونها، فدلّ ذلك على إعجازه، وأنه ليس من كلام البشر "[10]. كما يرى الباقلاني أن بناء القران من الأحرف التي بنى عليها كلام العرب وهو بذاته إعجاز؛ فهذه الأحرف دالة عن معان في الإعجاز , ولها أثار بلاغية ومعنوية [11].

إذن، فالفواتح تجمع بين المعنى الظاهر للتحدي والمعنى الباطن للإعجاز، لتكون بذلك جسرًا بين عالم التفسير وعالم الإعجاز.

تمهيد:

إنّ أعظم ما يميّز الدراسات القرآنية أنها توازن بين الإيمان بالغيب والعقل في الفهم؛ لذلك كان من الطبيعي أن ينشأ اتجاهٌ وسطيٌّ يرى أن فواتح السور تجمع بين الإعجاز

والتفسير، دون أن يُلغى أحد الجانبين لحساب الآخر. فمن حيث الإعجاز، تؤكد فواتح السور أن القرآن كلام الله، المعجز في بيانه ونظمه، لا يستطيع بشر أن يأتي بمثله. ومن حيث التفسير، فهي حروفٌ عربية معلومة، تدخل ضمن نظام اللغة الذي نزل به القرآن، ولها وظيفة بلاغية ومعنوية في بناء المعنى. قال الرازي في هذا المعنى: "إن الجمع بين القولين هو الأليق بعظمة القرآن؛ فهي من حيث اللفظ حروف عربية، ومن حيث السرّ إلهية المعنى لا يعلمها إلا الله، فجمعت بين الإعجاز والإشارة"[12] ، وفي هذا الفصل سوف أحاول الجمع بين الإعجاز والتفسير, الذي قمسته إلى ثلاثة مباحث وهم:

المبحث الأول: الدلالات البيانية والروحية لفواتح السور.

المبحث الثاني: فواتح السور وموقعها في الإعجاز البياني. والمبحث الثالث: الرؤية التحليلية الجامعة بينهما.

المبحث الأول ـ الدلالات البيانية والروحية لفواتح الســـــور:

ترتبط فواتح السور ارتباطًا وثيقًا بمقاصد السور التي تفتتحها، وكأنها مفتاحٌ دلاليٌّ ومعنوي لما سيأتي بعدها من معانٍ فعلى سبيل المثال:(الم) في البقرة تفتتح كتاب الهداية والتشريع،(كهيعص) في مريم تهيّئ النفس لسماع قصص الأنبياء ورحمة الله،(طه) تُفتتح بها سورة تُخاطب النبي ﷺ بلين ورحمة, (ص) تُعلن بداية سورة فيها جدال وتحدٍّ للكفار كل سورة افتتحت بهذه الحروف ، يقول ابن كثير" فإنها تعقبها ذكر الكتاب والوحي، وفي ذلك تنبيه على أن هذه الحروف أصل كلامهم، ومع ذلك جاء منها ما أعجزهم"[13]، فالفواتح تحمل دلالات بلاغية وروحية متناسقة، تجعل القارئ يشعر بأن هذه الحروف ليست منعزلة عن مضمون السورة، بل هي جزءا من نسيجها المعنوي والإيماني .

الدلالات البيانية التي اشتملت عليها فواتح السور كالاتي:

ابراز اعجاز القران اللغوي والبياني : تأتي فواتح السور بأسلوب غير مألوف في كلام العرب, إذ تبدأ بحروف منفصلة مثل (الم), لتثير انتباه السامع وتدفعه إلى الإصغاء لما يليها . فهذه فواتح تبرز التحدي القرآني بأن هذا الكتاب مؤلف من نفس الحروف التي يتكلم بها العرب , ومع ذلك عجزوا عن الإتيان بمثله.[14]

جمال الايقاع الصوتـــــي: أشار الخطابي في(بيان الإعجاز القران) تمتاز الفواتح بجمال موسيقى مؤثر في السمع, فهي تجمع بين الانفصال اللفظي والاتصال المعنوي, مما يعطيها وقعا خاصا في التلاوة[15].

التمهيد للمعاني التالية في الســـور: يرى العلماء ومنهم الزركشي في (البرهان)أن فواتح السور تأتي متناسقة مع مضمون السورة, فمثلا "الم" في البقرة وال عمران تمهد لحديث العلم والوحي, و" طه" تمهد لخطاب الرحمة للنبي "صلى الله عليه وسلم"[16]

التنبيه والاثارة الذهنية:

أشار السيوطي في كتابه (الاتقان) أن الحروف المقطعة تعد وسيلة بلاغية لتنبيه المخاطب, فهي تشد الانتباه الى ما بعدها من آيات , كما عدها مفتاحا لدخول جو السورة وتأمل معانيه[17].

أما دلالات الروحية التي اشتملت عليها هذه الفواتح فهي كالآتي:

الاشارة الى سرية الوحي وقدسيته: يرى بعض المفسرين وعلى رأسهم ابن العربي في كتابه (أحكام القران) أن هذه الحروف رموز بين الله ورسوله, لا يعلم حقيقتها إلا الله, فهي أسرار الوحي التي تذكر المؤمن بعظمة الخالق وغموض الغيب.[18]

1- **إثارة روح الخشوع والتأمل:** أشار الرازي في كتابه (مفاتيح الغيب) أن هذه الحروف لها أثرا طيبا في قلب المؤمن؛ لأنها تأتي بأسوب غير اعتيادي يوقظ القلب والعقل للتفكر في عظمة كلام الله. [19].

2- رمزية النور والهداية: سميت هذه الفواتح "الحروف النورانية " لأنها تنير بداية السورة و تفتح باب التدبر في معانيها , فكل فاتحة تهيئ النفس لتلقي الهداية الالهية.[20]

3- الربط بين الغيب والشهادة: اوضح الزركشي أن هذه الحروف تشير أن الله جمع بين العالمين: عالم الغيب لا الذي لا يدرك, وعالم الحروف الذي ينطقه الانسان, لتكون الفواتح جسرا بينهما[21]

من خلال ما سبق ذكره يفهم أن فواتح السور ليست رموز لغوية, بل هي مدخل إلى أسرار القران, تجمع بين البلاغة والمعنى , وبين العلم والايمان, وبين الصوت والنور. فهي كلمات قليلة نحمل في طياتها دلالات بيانية و روحية عظيمة, تدعو القارئ إلى التدبر والخشوع أمام كلام الله عز وجل..

المبحث الثاني ـ فواتح السور وموقعها في الإعجاز البياني:

لقد وقف العلماء والبلاغيون طويلًا أمام فواتح السور بوصفها مفاتيح لغوية لمعرفة إعجاز القرآن. فالقرآن الكريم لم يأتِ بأساليب مألوفة؛ بل افتتح بعض سوره بأصواتٍ غريبةٍ على السماع المألوف، لكنها في الوقت نفسه مأنوسة لغويًا، مما يخلق نوعًا من الدهشة الموزونة التي تدفع إلى الإصغاء. قال القرطبي: "في افتتاح هذه السور بهذه

الحروف بيان أن الله جلّ جلاله أراد أن يبيّن إعجاز كتابه من مادّة كلام العرب نفسها، فدلّهم على عجزهم من حيث ظنّوا القوة والبيان"[22] وبذلك يكون الإعجاز في فواتح السور تحديًا لغويًا وبيانيًا مقصودًا، يذكّر المتلقي بأن سرّ البيان القرآني فوق طاقة البشر. كما تُعدّ الحروف المقطعة من أكثر القضايا التي أثارت اهتمام المفسرين عبر العصور، لما فيها من غموضٍ ظاهري وعمقٍ بياني. وقد تباينت أقوال العلماء حولها تباينًا كبيرًا؛ فمنهم من جعلها من أسرار الله تعالى في كتابه، ومنهم من نظر إليها بوصفها ظاهرة لغوية بيانية تهدف إلى الإعجاز والتحدي، ومنهم من حاول الجمع بين الاتجاهين

أولاـ أقوال المفســـــرين من المتقدمين:

1- الإمـام الطبـري (ت 310هــ) : يـرى الطبـري فـي (جـامع البيـان)أن الحـروف المقطعة افتتح الله بها السور ليُنبّه عباده إلى إعجازه، وأنها من "الأسماء التـي استأثر الله بمعناها، وقد يكون في ذكرها تذكير للعرب بأنها الحروف التي منها نُسج كلامهم" .[23] ، ويميل الطبري في كتابه إلى الجمع بين التوقيف والتذكير بالبيان القرآني.

2- **الزمخشـــــري (ت 538هــ)** ، ذكر في كتابـه (الكشـاف) أن الحـروف المقطعـة رموزٌ لأسماء الله وصفاته، وقال: "افتتح الله بها السور تنبيهًا على أن هذا القرآن من كلامه، وأنه من جنس هذه الحروف التي تتكلمون بها، فاعجزوا أن تأتوا بمثله".[24] ولاحظنا قد غلب تفسير الزمخشري الطابع اللغوي البلاغي.

3- **القرطبـــــي (ت 671هـ** : قال في كتابه (الجامع لأحكام القرآن) :" اختلف العلماء في الحروف المقطعة على نيفٍ وثلاثين قولًا، والأظهر أنها من المتشابه الذي استأثر الله بعلمه".[25]، كما رجّح القرطبي أن ذكرها في أوائل السور له غرض بلاغي في جذب انتباه السامع كما أشرت سلفا.

4-الفخر الرازي (ت 606هـ) : أفرد في كتابه (مفاتيح الغيب) بحثًا مطوّلًا حول الحروف المقطعة، وعدّد أكثر من عشرين قولًا فيها، حيث قال:" الصحيح أن هذه الحروف دلالتها إجمالية لا تفصيلية، وأنها تدل على إعجاز القرآن من جهة كونه مؤلفًا من هذه الحروف التي يعجز البشر عن الإتيان بمثلها".[26]

ثانيا ـ أقوال العلماء من علماء البيان واللغة:

1الخطابـــي (ت 388هـ)يرى في كتابه بيان إعجاز القرآن أن الحروف المقطعة جاءت للتنبيه والتحدي، وقال فيه :" إن افتتاح السور بهذه الحروف أسلوبٌ بديع

يقصد به جذب الأسماع، وتوجيه الفكر إلى تأمل هذا الكلام الذي أتى على غير ما عهد العرب من أساليبهم" [27]

2 **الباقلانـــــي (ت 403هـ)** : يُعد من أبرز من تناول الجانب العقلي والبياني في هذه القضية، قال في كتابه (إعجاز القرآن) :" إن الله تعالى لما تحدّى العرب بالقرآن، ابتدأ بعض السور بهذه الحروف ليُريهم أن هذا الكلام إنما أُلف من جنس ما يتكلمون به، ومع ذلك فقد عجزوا عن الإتيان بمثله".[28] ، ومن هنا، يرى الباقلاني أن الحروف المقطعة رمز بياني لتحدي الإنسان بالعجز عن محاكاة الوحي.

3-الزركشي (ت 794هـ) في كتاب (البرهان في علوم القرآن)، عرض أقوال المفسرين في الحروف المقطعة، ثم رجّح أنها من المتشابهات، قائلاً:" والأولى الإمساك عن الخوض في معناها، إذ لم يأتِ عن النبي ﷺ تفسير لها، غير أن ورودها بهذا النسق المنسجم دليل على قصدٍ بيانيٍّ معجز". [29]

ثالثا ـ الإشارات التاريخية والروايات:

بالمجمل في كتب التفسير والعلوم القرآنية, وردت أقوال متعددة في تأويل هذه الحروف: هل هي أسماء للسور, أم أقسام, أم رموز "متشابهات" مثلا الذي قرأته في " فصل في أنواع علوم القران من النوع السابع في اسرار الفواتح قال:" ما أمكن اعرابها في بعضها, وما تأتى فيه اعراب في البعض الاخر....وهي من المتشابه ....استأثر الله به " . وأورد ابن إسحاق في السيرة النبوية أن حيي بن أخطب وأخاه أبا ياسر من زعماء يهود بني النضير، لما سمعا النبي ﷺ يقرأ: الم (البقرة:1), قالا: "محمد يزعم أن ملك أمته ثلاث وسبعون سنة، ثم جمعا الحروف بحساب الجُمَّل، وقالا كل ما جاء بعده باطل".[30]

وهذه الرواية تُظهر أن الحروف المقطعة كانت مثال اهتمام وتأويل حتى عند اليهود، مما يؤكد ما ذهب إليه المفسرون من كونها ذات مغزى في البيان والتحدي.

المبحث الثالث ـ الرؤية التحليلية الجامعة:

يمكن القول إنّ الفواتح القرآنية تمثل نقطة التقاء بين العلم والإيمان، والعقل والوحي. فهي من جهة آيات إعجازية تظهر قدرة الله على أن يُخرج من أبسط عناصر اللغة ـــ الحروف ـــ كلامًا يُدهش العقول.

ومن جهة أخرى، فهي موضوع تفسيري لغوي يُمكن للعقل أن يتأمل فيه ليدرك جمال النظام القرآني ودقته.

وبذلك يتحقق التوازن الذي أشار إليه الإمام الرازي حين قال" :إن الوقوف عند حدّ الإيمان بأن هذه الحروف من عند الله لا يمنع من التفكر في حكمتها، فالتفويض لا ينافي التدبر، بل هو طريق إليه" [31]

كما يعد الجمع بين التفسير والبلاغة من أهم مسالك فهم القران الكريم فهما شاملا؛ إذ يجمع بين العقل التحليلي للمفسر والذوق البياني البلاغي, فيتجلى من خلاله إعجاز القران في المعنى والمبنى معا. ويؤدي, الجمع بين المنهجين إلى فهم أعمق وأدق للنص القرآني, لأن التفسير وحده قد يكتفي بالمعنى الظاهر, أما البلاغة وظيفتها إبراز أسرار التعبير ودقة الاختيار في الألفاظ. ومتى يتم الجمع بينهما يظهر لنا الاعجاز الحقيقي للقران, من خلال تكامل الدلالة اللغوية والمعنوية , كما جاء في قوله تعالى:" الله نور السموات والأرض"(النور:35). فالمفسر يبين لنا أن النور هنا الهداية الالهية, بينما البلاغي يرى أن التشبيه بالنور يرمز إلى الإشراق الروحي والتجلي الرباني.[32]

يمكن أن نلخص وجه الجمع بين التفسيري و البلاغي مايأتي :

ـ الإعجاز كدلالة تفسيرية؛ فالبلاغيون يرون أن الحروف المقطعة وضعت للتحدي, وهذا التحدي في ذاته دلالة تفسيرية على أن القران منزل من عند الله تعالى. وبطبيعة الحال, فالمعنى ليس مجهولا بالكلية, بل معلوم من جهة الاعجاز, ومجهول من جهة الكيفية والسر الالهي.

ـ الاستفتاح البلاغي كمدخل للموضوع : النظر إلى فواتح الأخرى (غير الحروف المقطعة) على أنها استهلالات بلاغية تمهد للموضوع بشكل عام للسورة.

ـ وحدة البناء القرآني: يرى أصحاب هذا الاتجاه أن فواتح السور هي جزء لا يتجزأ من وحدة السورة, وأنها ترتبط بخاتمتها وموضوعها بشكل عام. وهذا الربط هو جوهرة عمل بلاغي ونتيجة تفسيرية, مما يجعل الفاتحة والخاتمة والموضوع يتكامل ليشكل دلالة واحدة.

ـ تتجلى عملية التكامل بين الجمع بين التفسيري والبلاغي, أن التفسير يغدي العقل, والبلاغة تغدي الروح, فكلاهما طريق إلى فهم الإعجاز القران في بيانه ومعناه؛ ولذلك قال العلماء:" من جمع بين التفسير والبلاغة فقد جمع بين العقل والذوق, فاستنار قلبه بمعاني القران كما استنار عقله بدلالاته".

الخاتمة:

تعد دراسة فواتح السور من خلال أقوال المفسرين وتحليل وجوه الإعجاز والبيان فيها، يمكن استخلاص النتائج الآتيـــة:

1- فواتح السور ظاهرة قرآنية خاصة لا نظير لها في سائر النصوص البشرية، تجمع بين الغموض والإيحاء، والتحدي والبيان.

2- أنها ليست مجرد رموزٍ غامضة، بل ذات وظيفة بيانية وصوتية تُمهّد لموضوع السورة

3- اختلف العلماء في تفسيرها إلى اتجاهات متعددة: التفويض، التأويل الرمزي، البلاغي، والإعجازي، وكلّها تُعبّر عن محاولات لفهم سرّ البيان القرآن

4- أقرب الآراء إلى الصواب هو الجمع بين الإعجاز والتفسير؛ فهي حروف عربية في ظاهرها، لكنها آيات معجزة في نظمها وسياقها

5- تؤكد هذه الدراسة أن فواتح السور باب للتدبر والإيمان معًا، تُظهر أن الإعجاز لا يُنافي التفسير، بل يكمّله ويُثريه.

6- أكثر السور المبدوءة بالفواتح نزلت في المرحلة التي بلغ فيها عنوا المشركين أقصى المدى, وأفحشوا في حمل الوحي على الافتراء والسحر والشعر والكهانة, فواجههم القران بالتحدي وعاجزهم مجتمعين

7- ما من سورة بدئت بالحروف المقطعة إلا كان فيها احتجاج للقران وتقرير نزوله من عند الله, ودحض لدعاوي من جادلوا فيه

8- أنها بدأت من أوائل الوحي في سورة القلم لافتة إلى سر الحرف, ثم كثرت وتتابعت في اواسط العهد المكي, حين بلغ الجدل في القران أشده

9- الاتجاه الذي جمع بين البلاغة والتفسير هي أسرار إلهية تفسير السلف وضعت في موضعها لتحقيق التحدي والاعجاز, وأنها اشارة إلى أن يجعل الكتاب المعجز المركب من هذه الحروف المألوفة, مما يجعل التفسير البلاغي أقرب إلى منهج المحققين في العصور الحديثة.

التوصيات:

1- تشجيع الدراسات التحليلية الحديثة التي تربط بين البلاغة القرآنية والصوتيات في دراسة الفواتح

2- إدماج موضوع فواتح السور ضمن مقررات الإعجاز القرآني والتفسير في الجامعات إعداد دراسات مقارنة بين مناهج المفسرين القدامى والمحدثين في تناول فواتح السور والاستفادة من التحليل اللغوي الحديث في دراسة الإيقاع الحرفي في الفواتح القرآنية.

بيان تضارب المصالـــح:

يُقر المؤلف بعدم وجود أي تضارب مالي أو علاقات شخصية معروفة قد تـؤثر على العمل المذكور في هذه الورقة.

الهوامش:

القرآن الكريم

1- الزركشي, أبو عبدالله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر, البرهان في علوم القران, بدر الدين الدين, تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم, دار الفكر, بيروت, الجزء الأول ص266.
2- الطبري , أبو جعفر محمد بن جرير, جامع البيان في تأويل القران, المجلد الأول, الطبعة الأولى 1415-1994م, مؤسسة الرسالة –بيروت ,الجزء الأول, ص205.
3- الرازي, أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين بن علي, التفسير الكبيرومفاتيح الغيب, الطبعة الأولى, دار الفكر للطباعة والنشر, بيروت, الجزء الأول,ص161.
4- القرطبي ,أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري , الجامع للأحكام القران, تحقيق: الدكتور: عبد الله بن عبد المحسن التركي, الطبعة الأولى(1427-2006م),بيروت – لبنان, الجزء الأول, ص154.
5- ابن كثير , للإمام عماد الدين أبي الفداء إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي, تفسير القران العظيم, الطبعة الأولى (1420-2000م), دار ابن حزم, الجزء الأول, ص37.
6- الزمخشري, جار الله أبو القاسم محمود بن عمر بن محمد , الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل, دار الكتاب العربي, الجزء الأول,ص86.
7- تفسير القران الكريم, المقدم: محمد إسماعيل المقدم, مكتبة الشاملة, ص12.
8- مرجع سابق, الرازي, التفسير الكبير, ج1، ص163.
9- المرجع السابق, التفسير الكبير,ج1، ص164.
10- السعدي, العلامة الشيخ عبدالرحمن بن ناصر, تيسر الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان, الطبعة الأولى, (1423-2002م), الجزء الأول, ص39.
11- الباقلاني، أبو بكر محمد بن الطيب, إعجاز القرآن, تحقيق: السيد أحمد صقر, دار المعارف, القاهرة, ص42.
12- مرجع سابق ,الرازي, التفسير الكبير, ج1, ص 166.
13- مرجع سابق, ابن كثير, تفسير, ج1، ص38.
14- الجرجاني, الشيخ الإمام أبي بكر عبدالقاهر بن عبد الرحمن الجرجاني, دلائل الإعجاز قرأه وعلق عليه: محمود محمد شاكر, دار النشر مكتبة الخانجي بالقاهرة,ص112.
15- الخطابي, سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم , بيان إعجاز القران, الناشر وليس مؤلف أيمن خليل, مكتبة نور, ص10.
16- مرجع سابق, الزركشي, البرهان,ج2, ص45.
17- السيوطي, عبد الرحمن بن أبي بكر, جلال الدين, الاتقان في علوم القران, تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم , من اصدارات المملكة العربية السعودية, الجزء الثاني,ص10.
18- مرجع سابق الرازي, مفاتيح الغيب, ج1,ص 159.

19- مرجع سابق, القرطبي , الجامع لأحكام القران ,ج1, ص117.
20- مرجع سابق , الزركشي, البرهان في علوم القران, ج1, ص233.
21- مرجع سابق, القرطبي, الجامع لأحكام القرآن, ج1، ص154.
22- مرجع سابق الطبري، جامع البيان، ج1،ص111.
23- مرجع سابق, الزمخشري، الكشاف، ج1، ص35.
24- مرجع سابق القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج1، ص155.
25- مرجع سابق, الرازي، مفاتيح الغيب، ج2، ص711.
26- مرجع سابق, الخطابي، بيان إعجاز القرآن، ص830 .
27- مرجع سابق ,الباقلاني، إعجاز القرآن، ص945.
28- مرجع سابق, الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ج 1, ص1088 .
29- ابن العربي, أحكام القران, تحقيق: على محمد البجاوي, القسم الأول, دار الفكر الأولى, الجزء الأول, ص78.
30- مرجع سابق, الرازي, التفسير الكبير ,ج1, ص168.
31- مرجع سابق, الرازي, مفاتيح الغيب, ج23, ص221.
32- ابن اسحاق, محمد بن اسحاق بن يسار المطلبي المدني, السيرة النبوية, تحقيق: محمد حميد الله, دار المعرفة, بيروت, ص234.لمزيد من الاطلاع زيارة موقع ويب اسلام.